بعد أربع سنوات من هجمات نيويورك وواشنطن: القاعدة بعيون غربية

12-9-2005

كشفت دراسة جديدة أجراها أحد الأطباء النفسيين الأمريكيين هو الدكتور مارك سيجمان أن غالبية المجندين -الذين تقوم شبكة القاعدة بزعامة أسامة بن لادن بضمهم إلى صفوفها- من الإسلاميين، حائزون على مؤهلات علمية عالية، وينحدرون من بيئات راقية. وقد أظهرت الدراسة التحليلية التي أجراها الدكتور سيجمان على شريحة مكونة من 500 إسلاميا ممن ينتمون لتنظيم القاعدة، أن كافة النظريات التي كان الخبراء الغربيون قد وضعوها لتحليل طريقة انتقاء تنظيم القاعدة لعناصره لم تكن تتسم بالدقة أو المصداقية.

بقلم علي حسين باكير

نرصد في هذا التقرير وبعد مرور أربع سنوات على هجمات نيويورك وواشنطن موقع القاعدة في التفاعلات العالمية الحاصلة من خلال آراء ووجهات نظر لخبراء غربيين دون أن نضيف أو نعلّق على أي شيء ممّا ننقله، وذلك حفاظا على ما جاء على لسان هؤلاء كما هو، وحرصا على نقل الصورة الأدق في هذا الموضوع.

* القاعدة أيديولوجيا وليست تنظيما:

تحت هذا العنوان يقول الكاتب الفرنسي "ميشال موتوه" في تقرير له, كانت أربع سنوات من المطاردات الدولية منذ وقوع اعتداءات 11 أيلول/سبتمبر مكنت من تسديد ضربات قاسية إلى القاعدة، إلا أن ما يشكل قوتها حاليا بنظر الخبراء هو أنها لم تعد بحاجة لأن تكون حركة منظمة حتى تشكل خطرا.

وإن كانت أجهزة الاستخبارات الدولية تشير إلى انه ما زال هناك نواة صلبة من الإرهابيين المحنكين الناشطين منذ سنوات في الحركة الجهادية الدولية، والذين ما زالوا يثيرون المخاوف رغم أنهم مطاردون، إلا أن الخطر الحقيقي هو أن القاعدة تشكل مصدر الهام للكثير من الإسلاميين.

وأوضح ماغنوس رانستورب مدير مركز الدراسات حول الإرهاب في جامعة سانت اندروز في اسكتلندا أن التنظيم الإرهابي "بات بمثابة حالة فكرية وأيديولوجيا أكثر منه كيانا ماديا".

ورأى أنه "شبح يظهر في كل مكان دون أن يكون موجودا في أي موقع. أو "اميبة" تتخذ أشكالا متعددة من الحياة فتتجسد وتختفي بشكل سريع. إنه مصدر إلهام سيستمر لوقت طويل ربما لعقود بعد رحيل بن لادن".

ويقول جيريمي بيني المحلل في مركز الإرهاب والتمرد التابع لمجلة جاينز البريطانية المتخصصة، "للانتماء إلى القاعدة ليس على الشخص سوى التحرك، ارتكاب عمل عنيف".

وتابع "لا حاجة إلى إقامة أي اتصال مع بن لادن أو أحد مساعديه. إن اعتداءات ضخمة أصبح ينفذها شبان من العامة ليس لديهم نوع الاتصالات التي يمكن أن نجدها لدى الجيل السابق لما وصف بالقاعدة (..)، وهذا الأمر مخيف للغاية حين نفكر في عدد الشبان من هذا النوع في العالم".

فيما يعتقد براين جنكينز من مكتب الدراسات "راند كوربوريشن" الأمريكي أن بن لادن "ما زال يشكل خطرا كبيرا لان له القدرة المروعة على الإلهام والتأثير على الأفكار". ويرى الخبير الجنائي الفرنسي كزافييه روفير أحد مؤلفي كتاب "لغز القاعدة" الصادر حديثا، أن اخطر ما في الأمر أن الغرب لا يستخلص العبر من أخطائه. وقال: "إن نظرتم في جميع الاعتداءات الخطيرة التي ارتكبت بعد 11 أيلول/سبتمبر، سترون أنه لم يتم إحراز أي تقدم، إنها كارثة، نطارد أشخاصا، نقبض عليهم ويمضون باقي حياتهم في السجن، لكن هذا غير مهم أطلاقا، فهم في كل الأحوال انتحاريون". ويختتم "إن القاعدة الإستراتيجية الأساسية تقول: اعرف عدوك، وطالما أننا لم ندرك أن أهداف الإرهابيين هي سياسية بالمقام الأول، وأنه ينبغي النظر في المسألة من الزاوية السياسية، فلن تتوفر لدينا أي فرصة".

هذا فيما يرى الرئيس السابق لمكافحة 'الإرهاب' في البيت الأبيض ريتشار كلارك الذي يعمل حاليًا مستشارًا في الشؤون الأمنية ومكافحة 'الإرهاب' حول تقييم خطر القاعدة والخطر 'الجهادي' في مؤتمر صحفي له في جمعية 'نيو أمريكا': إن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن وقادة التنظيم 'لم يعدوا قادة تقليديين مثلما كانوا في التسعينيات'، مضيفًا أن ابن لادن أسس 'جماعات أيديولوجية' من أفغانستان قبل 11 سبتمبر 2001 ، وأنها تزايدت في السنوات القليلة الماضية إلى 14 أو 16 شبكة منفصلة. و يعتبر كلارك أن ابن لادن ومساعده أيمن الظواهري يمارسان 'سيطرة رمزية', وإن معظم الشبكات تعمل بشكل مستقل، ولكن 'هناك إشارات على التعاون بين بعض هذه الجماعات'. وانتقد كلارك بشدة تصريحات بوش المتكررة بأن الإدارة الأمريكية تمنع وقوع هجمات في الولايات المتحدة بمكافحة 'الإرهاب' في الخارج، قائلاً: إن ذلك 'ليس منطقيًا'، مشيرًا إلى تفجيرات مدريد ولندن. ومضى قائلاً: 'بدون شك لا يوجد شيء يمنعهم من القدوم' للولايات المتحدة.

* القاعدة قوية وتتأقلم مع الظروف:

قالت صحيفة واشنطن بوست في عدد لها في شهر تموز 2005: إن القاعدة استجابت للضغوط المكثفة من قبل الولايات المتحدة وحلفائها بتوزيع نشطائها ونشر أيديولوجيتها وتشجيع موالين جدد لها على تنفيذ هجمات باسمها. وأشارت الصحيفة إلى أن مارك

ساجيمان أحد الخبراء في "الإرهاب" السابقين في CIAقال خلال عدة منتديات للحكومة عن تطور القاعدة: إن تنظيم القاعدة لن ينفذ هجمات على نفس مستوى 11 سبتمبر ولكنه سينفذ العديد من الهجمات على غرار هجمات 11 مارس 2004 ، التي استهدفت قطارات مدريد. وتابعت الصحيفة: إن ابن لادن وأعوانه يسعون إلى إثارة النزاع بين الولايات المتحدة وحلفائها واستنزاف الأمريكيين واقتصاديات حلفائها، مشيرة إلى أن تفجيرات لندن قد تعكس هذين الهدفين.

وفي تقرير للكاتب الانكليزي كريس رايت يذكر أن الخبراء يقولون إن تنظيم القاعدة أصبح يشبه وحش "هيدرا" متعدد الرؤوس الذي تتحدث عنه الأساطير اليونانية، والذي إذا قطعت أحد رؤوسه نبت له رأس جديد. و بحسب البروفسور بول ولكنسون مدير مركز دراسات الارهاب والعنف السياسي في جامعة سانت اندروز في اسكتلندا "لقد مر تنظيم القاعدة بمرحلة تحول، إلا أن ذلك لا يعني أن أسامة بن لادن أصبح طي النسيان.

أما المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية ومقره في لندن، فقد أكّد في تقريره السنوي لعام 24-25 عن وضع القوات في العالم أن تنظيم القاعدة يتمتع بوجود في أكثر من ستين دولة في العالم بينما يشهد التشدد الإسلامي تقدما في أوروبا الغربية. وأكد أن شبكة القاعدة "تحاول من جهتها تطهير العالمين العربي والإسلامي من التأثير الأمريكي".

ورأى المعهد أن التدخل الاميركي البريطاني في العراق أدى بذلك إلى "تكثيف تجنيد الجهاديين وتعزيز دوافع القاعدة وكذلك المساعدة (التي يقدمها التنظيم) لعمليات إرهابية". وأكد المعهد أن أجهزة الاستخبارات ترى أن تنظيم القاعدة موجود "في أكثر من ستين بلدا" في العالم، وأن "تجنيد الجهاديين في تصاعد في أوروبا الغربية".

هذا فيما يعتبر محلل فرنسي أن تنظيم بن لادن هو كالفيروس المتحول، إذ إنه تمكن من التأقلم لمواجهة الجهود الدولية المجيشة لمكافحته, وبات بإمكان القاعدة، من دون أي هيكلية هرمية تقريبا، أن تثير انطباعا بأنها تشن حملة رعب منظمة على نطاق العالم بأسره، فيما هذه الاعتداءات تنفذها في الواقع مجموعات محلية تعمل باستقلالية واسعة.

وفي هذا السياق، يعتبر الباحث الفرنسي جان لوك ماري من مؤسسة الدراسات الإستراتيجية في باريس أن "الخلايا الجهادية المستقلة ظهرت وستظهر عبر العالم لسنوات مقبلة كثيرة". ويقول ماري: "يمكن لهذه الخلايا أن تنشأ بشكل عفوي بفعل عناصر مسهلة مختلفة: شخص ينصب نفسه إماما، أو أخ أكبر، أو عارف بالإسلام الحقيقي. وفي يوم من الأيام، تنتقل هذه الخلايا إلى الفعل من دون أن تكون تلقت أي تعليمات محددة من أي جهة".

* أتباع وأنصار القاعدة من المتعلّمين والمثقفين وأصحاب الأموال:

كشفت دراسة جديدة أجراها أحد الأطباء النفسيين الأمريكيين هو الدكتور مارك سيجمان أن غالبية المجندين -الذين تقوم شبكة القاعدة بزعامة أسامة بن لادن بضمهم إلى صفوفها- من الإسلاميين، حائزون على مؤهلات علمية عالية، وينحدرون من بيئات راقية. وقد أظهرت الدراسة التحليلية التي أجراها الدكتور سيجمان على شريحة مكونة من 500 إسلاميا ممن ينتمون لتنظيم القاعدة، أن كافة النظريات التي كان الخبراء الغربيون قد وضعوها لتحليل طريقة انتقاء تنظيم القاعدة لعناصره لم تكن تتسم بالدقة أو المصداقية.

ويعترف الدكتور مارك سيجمان الطبيب النفسي الذي أجرى الدراسة بأنه كان يتوقع أن تكون غالبية أتباع أسامة بن لادن من الأشخاص الذين ينتمون لبيئات فقيرة يتفشى فيها الجهل والمرض.

ووفقًا لصحيفة أستراليان قال الدكتور سيجمان: "لقد كان العامل المشترك الذي اتفق عليه جُل الخبراء والمحللين يتمثل في أن "الإرهاب" هو نتاج أجواء البؤس والفقر والتخلف التي تعيشها بلدان العالم الثالث، هذه الأجواء التي تجعل الشباب عرضة لعمليات غسيل الدماغ واللحاق بركاب الإرهابيين".

غير أن الطبيب النفسي صاحب الدراسة يؤكد أنه وبعد إعداد مادته توصل لحقائق من بينها أن 75 بالمائة من أعضاء تنظيم القاعدة ينحدرون من بيوت تنتمي للطبقة الراقية وأن أغلبهم متزوجون ولديهم أطفال ويعيشون حياة اجتماعية طبيعية. كما أشار الدكتور مارك إلى أن 60 بالمائة من عناصر تنظيم القاعدة قد تلقوا تعليمًا جامعيًا وفي كثير من الأحيان حصلوا على درجاتهم العلمية من الولايات المتحدة وأوروبا.

أمّا أستاذ التاريخ الأمريكي "تيموثي نافتالي" Timothy Naftali، فقد أشار في كتابه الأخير الذي أسماه "البقعة العمياء.. التاريخ السري للمناهضة الأمريكية للإرهاب" إن الإرهابيين أُناس -كما يصفهم "نافتالي"- بارعون في استغلال الفرص، متفننون في إيجاد الطرق البديلة إذا ما أغلق عليهم الطريق. ولذا فإن ما يجمع حولهم من "جبال معلوماتية" كما تفعل الإدارة الأمريكية الحالية لا ولن يكفي لمواجهتهم؛ بل الأهم من ذلك هو إدارة تلك "الجبال المعلوماتية" بفعالية وذكاء.

* 11 أيلول نتيجة السياسيات الأمريكية.. وبن لادن رجل عظيم:

يقول الأكاديمي الأمريكي وارد تشرشل أستاذ جامعة كولورادو الأمريكية أنّ رسالته الرئيسة التي يريد توصيلها، هي "أن هجمات 11 سبتمبر جاءت نتيجة السياسة الخارجية الأمريكية, و بالطبع وهو شيء مفروغ منه أن ما تزرعه تحصده وهذا ما حدث". وفي مقال له بعنوان "بعض الناس يردون الضربة" الذي كتبه عقب هجمات 11 سبتمبر، قال تشرشل: إن الخاطفين شنوا هجمات مضادة في مواجهة السياسة الخارجية الأمريكية

المعادية في الشرق الأوسط وحملة الإبادة الجماعية في العراق التي نفذت من خلال العقوبات الاقتصادية التي فرضت عليه.

هذا فيما يرى مايكل شاور وهو ضابط سابق في وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية 'سي آي إيه' و كان يعمل على مطاردة بن لادن منذ منتصف الثمانينات، وقد ترأس بين 1996 و 1999 وحدة خاصة مكلفة بمطاردة أسامة بن لادن، وهي على حد تعبيره الوحدة الوحيدة المخصصة لملاحقة شخص واحد في الـ'سي أي إيه'، وصاحب كتاب 'العجرفة الإمبريالية, إن بن لادن رجل عظيم لأنّه أثّر على مجرى التاريخ. ويضيف شاور أنه يجب احترام أسامة بن لادن حتى لا يتسبب في قتل المزيد من الأمريكيين. ويقول: "أعتقد أن قادتنا خلال السنوات العشر الأخيرة أضروا بالشعب الأمريكي بمواصلتهم نعت ابن لادن باللص، والمجرم والإرهابي, و طالما أنّنا لا نحترمه فسنموت بأعداد كبيرة وسنخسر الحرب على الإرهاب"، مؤكّدا أنّ الولايات المتحدة مسئولة عن موت ملايين المسلمين في العالم؛ لذلك فإن المعاملة بالمثل تعني أنه يمكن قتل ملايين الأمريكيين..

* كان من المفترض أن نستمع إلى بن لادن:

تحت هذا العنوان، وبعد تفجيرات لندن الأخيرة, كتب الكاتب الإنجليزي المشهور روبرت فيسك والمتخصص في شؤون الشرق الأوسط مقالا مهما، جاء فيه: من المستغرب أن كلمات أسامة بن لادن على ما يبدو غير مهمة للبيت الأبيض الذي يكتب نصوصا سينمائية. فعندما يتحدث أسامة بن لادن فلا أحد يهتم بالتمعن فيما يقول أو يقرأه. فالأسئلة التي تطرح في العادة هي: هل هو أسامة بن لادن؟ هل هو حيّ؟ وأين هو؟ لكن لا أحد يسأل أبدا عن ماذا قال؟ هناك أخطار حقيقية في هذا التوجه ودعوني أريكم لماذا؟ ففي 13 فبراير عام 2003م بث أحدث تسجيل صوتي لأسامة بن لادن عن طريق قناة الجزيرة الفضائية, وتذكروا أن ذلك حدث قبل 5 أسابيع من الغزو الأنجلو - الأمريكي للعراق.

أدلى بن لادن في رسالته تلك بتصريح قال فيه: "مما لاشك فيه أن هذه الحرب الصليبية موجهة ضد الإسلام, سواء صمد الحزب الاشتراكي وصدام أم لا... وبالرغم من إيماننا وقناعتنا المتعلقة بكفر الاشتراكيين فإن هناك تطابقا بين مصالح المسلمين والاشتراكيين في الظروف الحالية في صراعنا ضد الصليبيين". وكان ذلك, فقد وجه بن لادن -الذي يكره صدام وقد قال لي ذلك شخصيا- أتباعه ليقاتلوا جنبا إلى جنب مع القوات العراقية التي ضمت بعثي صدام "الاشتراكيين". وكانت تلك هي اللحظة التي اندمج فيها جيش العصابات مع الانتحاريين المستقبليين, وكانت الرسالة هي التي خلقت التفجيرات التي غمست الغرب في العراق, ولم نلاحظها أبدا. فقد انشغل "الخبراء" الأمريكيون بالثرثرة حول ما إذا كان بن لادن حيا، وليس حول ماذا قال. لقد أدرك بوش ذات مرة ذلك، لكنه كان متأخرا جدا.

للعودة للأعلى